المحاضرة الرابعة: المستوى الدلالي.

1-النص باعتباره وحدة دلالية:

تنتظم الكلمات في الجملة وفق قواعد النحو، وتنتظم الجمل بدورها في سياقات معينة، ترتبط فيها الجملة اللاحقة بسابقتها، وتفترض كل منهما الأخرى، بحيث لا يمكن تأويل معنى إحداهما بمعزل عن الأخرى. وتشكّل الجمل المترابطة وحدة أعلى منها، هي النص.

وإذا كان النص غير محدود كالجملة من حيث البنية، فهو يتحقق من خلال الجمل التي يتألف منها، ويمثّل من حيث الدلالة وحدة دلالية.

ويظهر ارتباط الجملة اللاحقة بسابقتها بوضوح في حال الجمل التي ترد إجابة عن سؤال، ففي المثال: « ضربت الطفلة أختها »، يمكن أن تشكّل الجملة بطريقتين:

أ- « ساعدت الطفلةُ أختَها ».

ب- « ساعدت الطفلةَ أختُها ».

ولكن إذا سبق الجملة سؤال معيّن، مثل: « من ساعد الطفلة؟ »، فإنها تضبط بطريقة واحدة. ومن الواضح أن جواب السؤال السابق متضمّن في الجملة (ب) فقط.

2- الوسائل التي تضمن الوحدة الدلالية للنص:

يكون النص متماسك الأجزاء يرتبط فيه اللاحق بالسابق – وهو ما يدعى بالاتّساق (cohésion)- إذا تضمّن علاقات وروابط متنوعة، تربط بين الجمل التي يتألّف منها. والاتساق حسب هاليدي ورقية حسن، « يتوقف داخل نص ما، على شيء آخر غير البنية،

بمعنى أن هناك علاقات معينة، إذا توافرت في نص ما، تجعل أجزاءه متآخذة مشكلة بذلك كلا موحدا تعد طبيعة هذه العلاقات دلالية »[1].

ويحدّد الباحثان السابقان، انطلاقا من منظور لساني وصفي، العلاقات التي تجعل النص متّسقا [2]، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

1- **الإحالة:** وتعني إحالة عنصر إلى آخر سابق له أو لاحق؛ ومن العناصر المحيلة الضمائر وأسماء الإشارة.

2- **الاستبدال:** ويتمثل في تعويض عنصر بآخر، ومثال ذلك: « ضيّعت ساعتي- سأشتري أخرى »، حيث عُوّضت كلمة (ساعتي) في الجملة الثانية بالاسم (أخرى). والاستبدال ليس خاصّا بالأسماء، فالأفعال والأقوال تستبدل أيضا.

3- **الحذف:** وهو أن يحذف عنصر من جملة سبق وروده في جملة أخرى؛ والعنصر المحذوف قد يكون فعلا أو اسما. و مثال الحذف الجملتين:

« كيف البحر؟ »، الجواب: « هائج ».

فجملة الجواب غير كاملة من حيث البنية، وجملة السؤال هي التي ترشد القارئ إلى ما حذف منها.

4- **الوصل:** وتتمثل عناصره في الأدوات الرابطة بين الجمل، مثل حروف العطف.

---

[1] – محمد خطابي، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص13.

[2] – محمد خطابي، المرجع نفسه، ص 15، نقلا عن كتاب هاليدي ورقية حسن « cohesion in English » ، ص10.

3-الفهم في مستوى النص:

تنبثق دلالة النص من كل العناصر المشكلة له، فالنص باعتباره وحدة عليا للتحليل اللساني، لا يمكن أن يتحقق إلا بتآلف وحدات من المستويات السابقة له، وهي: الأصوات والمورفيمات والكلمات والجمل. وكما أنّ معنى الجملة لا ينتج عن مجموع المعاني المعجمية لوحداتها، بل عن ارتباطها في سياق معيّن، فإنّ معنى النص لا ينتج عن مجموع معاني الجمل التي ترد فيه، كل منها على حدة، وإنما عن ارتباطها فيما بينها بعلاقات دلالية تضمن الانتقال من جملة إلى أخرى عبر كامل النّص، وتجعل معنى بعضها متوقّفا على معنى بعض.

وينبغي للقارئ معرفة استغلال العلاقات السابقة، ليفهم معنى النص أو ما هو أساسي منه، ذلك أنّ لكل نص « مركز جذب يؤسسه منطلقه وتحوم حوله بقية أجزائه » [1]. ومركز النص، لا يكون دوما في بدايته، بل يختلف موقعه فيه باختلاف طبيعة النصوص وأنواعها. وللتدرّب على إدراك العلاقات الرابطة بين الجمل، يمكن للقارئ الاستعانة بالتمارين القائمة على إعادة ترتيب الجمل في النص.

4- أهمية المعارف السابقة في فهم النص:

يرى الباحثان كلارك وهفيلان (clark et Haviland)، « أن فهم خطاب، يفترض أن الفرد قد تعرّف فيه معلومة قديمة (مفترضة مسبقا)، يمكن أن ترتبط مع أخرى

[1] – محمد خطابي ، مرجع سابق، ص58.

سابقة لها، مخزنة في الذاكرة » [1]. وهذا يعني أن تعرّف القارئ عناصر سبق ورودها في النص المقروء، أو في نصوص أخرى سبق أن قرأها، يساعده على توقع ما هو لاحق، ويسمح له بإدماج العناصر الجديدة، وربطها بالعناصر القديمة.

و نذكر في هذا الإطار، أهمية الثروة اللغوية و دورها في تعرف الكلمات وفهمها أثناء القراءة. ذلك لأن امتلاك القارئ حصيلة من المفردات، يساعده على إدراك معاني مفردات أخرى ترتبط بها أو تجاورها في السّياق، حيث تشكّل « سياقا معيّنا يعين على إدراك واستيعاب ما لم يوجد في الذاكرة من قبل » [2]. وكلما كان رصيد القارئ أكبر كلما تيسّر له ربط المفردات الجديدة بالقديمة، وازدادت سرعته في قراءة النصوص، وتعمّق فهمه لمضامينها.

ولا يتأتى إثراء الحصيلة اللغوية إلا عن طريق القراءات الكثيرة والمتنوّعة، واستعمال المعاجم لتعرّف معاني المفردات التي استعصى على القارئ فهمها. ذلك لأن حفظ الآلاف من المفردات المعزولة لا يمكّن من ممارسة اللغة، أو من تحسين مستوى القراءة؛ والسّبب هو كون معانيها متعددة، ولا يمكن تحديدها إلا بوضع المفردات في سياق يتحقق فيه معنى من معانيها دون آخر. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مفردات مألوفة قد تعبّر عن معان غير مألوفة نتيجة لتركيبها فيما بينها بطريقة خاصة.

وتجدر الإشارة إلى أن امتلاك الحصيلة اللغوية لا يعني اكتساب المفردات المعجمية فحسب، بل يعني اكتساب الصّيغ والتراكيب وأساليب التعبير أيضا، ذلك لأن معاني المفردات في النص تتأثر بأبنيتها الصّرفية من حيث الاشتقاق والتصريف، وبوظائفها

[1] – Joèl pynte، مرجع سابق، ص126.

[2] – أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، 1996، ص 277.

النّحوية. كما أن معاني الفقرات والنصوص عامّة، تتأثر بالعلاقات التي تربط بين الجمل فيها.